

الفصل الأول - الباب الأول

عربية، وجاء مؤتمر يافا اليهودي العالمي في نفس العام ليخلص إلى الآتي:

١- الاعتراف بفلسطين وطناً قومياً لليهود... تشمل حدودها المناطق المائية من منحدرات الليطاني وسفح جبل الشيخ ووداي اليرموك وشرقي الأردن وصولاً لرأس النقب.

٢- الإصرار على الحماية البريطانية.

وتم استقدام ١٠٠ ألف مستوطن عامي ٢١ - ١٩٢٢ وأسست الهاجاناة (نواة الجيش) بما يعكس وضوح الرؤية ووحدة الأداة بينما طغى على العمل الفلسطيني تعدد الهيئات والخلافات.

ولئن كانت فلسطين قد افتقرت لكيانية سياسية واحدة، شأن البلدان العربية الأخرى، والكثير من الشعوب غير أنها امتلكت خصائص جماعية تشكلت عبر سياق تاريخي طويل، ولولا الاستعمار البريطاني والمشروع الصهيوني لنالت استقلالها بعد هزيمة تركيا وأقامت دولة مستقلة أسوة بشعوب أخرى. وقد غلب على سكانها حينذاك الهوية القومية العربية (٩٠٪ عرب، ٨٪ يهود، ٢٪ أجناب)^(١٠١). وكان من بين العرب ٨٩٪ مسلمون و ١١٪ مسيحيون. استقر ٥٠٪ في المدن و ٥٠٪ في الأرياف والصحاري.

وبلغة التوصيفات الطبقيّة، كانت هناك أغلبية كادحة من الفلاحين والبدو وعمال الموانئ والمزارعين والحرف الصغيرة، والفئات الوسطى من موظفي الدوائر الرسمية والمهن الحرة والتجارة سيما في المدن. وأقلية من كبار التجار والملاكن العقاريين والعوائل الاقطاعية.

وكانت معظم القرى أنشئت على التلال والمرتفعات، وتمتعت باكتفاء اقتصادي واجتماعي، مثلما سادت الحمائلية والعائلية البطريركية. وفي المدينة تعزز نفوذ العوائل الثرية، وانصرف الكثير من أبنائها للاهتمام بالشؤون الدينية والعلمية، وأتاح لها الحكم العثماني الحصول على بعض أراضي الأوقاف التي تحولت مع الزمن ونظام الإرث لمكيات خاصة، وأبناؤها كانوا يتقلدون أعلى المناصب الإدارية.

لا تفوتنا الإشارة إلى أن الحياة الزراعية قد طغت على فلسطين حيث تميزت بتصدير الحمضيات والصابون والموز والخضروات... وارتفع ميزانها التجاري في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين عدة مرات، إلى درجة أنه يتفوق على الميزان التجاري لسوريا، كما فاق معدل

(١٠١) د. الحوت، المرجع السابق. ص ٤٧٦